

الآفة الرابعة عشرة التفريط فى عمل اليوم واللييلة

والآفة الرابعة عشرة التى يتلى بها كثير من العاملين ، إنما هى : « التفريط فى عمل اليوم واللييلة » .

وحتى يتخلص منها من ابتلوا بها ، ويتقيها من عافاهم الله - عز وجل - منها ، فإنه لابد من تقديم تصوّر دقيق يكشف عن أبعادها ومعالمها ، وذلك على النحو التالى :

أولاً: مفهوم التفريط فى عمل اليوم واللييلة :

التفريط لغة : التفريط فى اللغة هو : التقصير فى الأمر ، وتضييعه حتى يفوت ، قال فى اللسان : « وفرط فى الأمر يفرط فرطاً ، أى : قصر فيه وضيعه حتى فات ، كذلك التفريط » (١) ، « وفرط فى الشيء ، وفرطه : ضيعه وقدم العجز فيه ، وفى التنزيل : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٦] ، أى أنيىوا إلى ربكم وأسلموا له مخافة أن تصيروا إلى حال الندامة للتفريط فى أمر الله » (٢) . وعمل اليوم واللييلة فى اللغة ، هو الوظائف أو الواجبات التى ينبغى للمرء الحفاظ عليها ، أعم من أن تكون دينوية أو أخروية . وعليه فإن التفريط فى عمل اليوم واللييلة لغة هو : التقصير أو التضييع للوظائف أو الواجبات التى ينبغى للمرء الحفاظ أو المواظبة عليها ، دينوية كانت أو أخروية ، أو هما معا حتى تفوت .

التفريط فى عمل اليوم واللييلة اصطلاحاً : أما مفهوم التفريط فى عمل اليوم واللييلة فى اصطلاح العلماء والدعاة فإنه : التقصير أو التضييع للوظائف العبادية ، التى ينبغى للمسلم الحفاظ والمواظبة عليها فى اليوم واللييلة حتى يخرج وقتها وتفوت ، مثل النوم عن الصلاة المكتوبة ، ومثل إهمال النوافل الراتبة ، أو ترك قيام الليل ، أو صلاة الوتر ، أو صلاة الضحى ، أو تضييع الورد القرآنى ، أو الأذكار ، أو الدعاء ، أو المحاسبة للنفس والتوبة والاستغفار أو التخلف عن الذهاب إلى المسجد ، وعدم حضور الجماعة بغير عذر ولا مبرر ، أو عدم فعل الخيرات الأخرى ، أو إهمال الآداب

(١) انظر : لسان العرب ٧ / ٣٦٨ ، مادة : « فرط » .

(٢) انظر : لسان العرب ٧ / ٣٧٠ .

الاجتماعية : من عيادة المرضى ، وتشجيع الجنائز ، والسؤال عما فى الناس ، ومشاركتهم أحوالهم فى السراء والضراء . . . إلى غير ذلك من الطاعات أو العبادات .
ثانيا : أسباب التفريط فى عمل اليوم والليلة :

وللتفريط فى عمل اليوم والليلة أسباب تؤدى إليه ، وبواعث توقع فيه ، نذكر منها :

١- التلطف أو التدنس بالمعصية :

بأن يكون المسلم غير محترس أو متحرز من المعصية ، لاسيما الصغائر ، تلك التى يستهين بها كثير من الناس ، ولا يولونها رعاية أو أهمية ، وحيث فلا بد من العقاب ، ويكون العقاب بأمور كثيرة ، من بينها التفريط فى عمل اليوم والليلة ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى] .

وجاء عن الحسن البصرى مرسلا قوله : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ قال رسول الله ﷺ : « والذى نفس محمد بيده ، ما من خدش عود ، ولا اختلاج عرق ، ولا نكبة حجر ، ولا عثرة قدم إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر » (١) .

وقال عليه السلام : « لا يصيب عبدا نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر » ، وقرأ : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ ﴾ الآية (٢) .

وقد وعى السلف مثل هذا السبب ، وأثره على عمل اليوم والليلة ، ونبهوا إليه كثيرا : هذا الضحاك يقول : ما نعلم أحدا حفظ القرآن ثم نسيه ، إلا بذنب ، ثم قرأ الضحاك : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى] . ثم يقول الضحاك : وأى مصيبة أعظم من نسيان القرآن (٣) .

(١) الحديث أورده ابن كثير فى : تفسير القرآن العظيم ٤ / ١١٦ من طريق إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن البصرى مرسلا ، وعزاه إلى ابن أبى حاتم ، وأورده السيوطى فى : الدر المنثور فى التفسير بالماثور ٩ / ٦ ، وعزاه إلى سعيد بن منصور ، وهناد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم عن الحسن البصرى ، مرسلا بهذا اللفظ .

(٢) اخذت أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب تفسير القرآن : باب ومن سورة « حم عسق » ٣٥٢ / ٥ رقم (٣٢٥٢) من حديث أبى موسى الأشعرى مرفوعا به ، وعقب عليه قائلا : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » وأورده السيوطى فى : الدر المنثور ٩ / ٦ وعزاه إلى عبد بن حميد ، والتزمى .

(٣) الأثر أورده ابن كثير فى : تفسير القرآن العظيم ٤ / ١١٧ وعزاه إلى ابن أبى حاتم ، وأورده السيوطى فى : الدر المنثور ٩ / ٦ وعزاه إلى ابن المبارك ، وابن أبى شبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الشعب عن الضحاك .

وهذا الحسن يسأله رجل قائلاً: يا أبا سعيد، إني أبيت معافى ، وأحب قيام الليل، وأعدّ طهورى فما بالى لا أقوم؟ فقال: ذنوبك قيدتك ^(١) .

وهذا الثورى يقول: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته ، قيل : وما ذاك الذنب ؟ قال : رأيت رجلاً يبكى ، فقلت فى نفسى : هذا مرء ^(٢) .

وهذا كرز بن وبرة يدخل عليه بعض الناس وهو يبكى فيقول له : أتاك نعى بعض أهلك؟ فيقول: أشدّ، فيقول له : وجع يؤلمك ؟ فيقول: أشدّ ، فيقول له : وما ذاك ؟ فيجيبه : بابى مغلق ، وسترى مسبل ، ولم أقرأ حزبي البارحة ، وما ذاك إلا بذنب أحدثته ^(٣) .

وهذا أبو سليمان الداراني يقول: لا تفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب ^(٤) .

وهذا عابد عالم يقول: كم من أكلة منعت قيام ليلة، وكم من نظرة منعت قراءة سورة، وإن العبد ليأكل أكلة، أو يفعل فعلة، فيحرم بها قيام سنة، وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة ، وسائر الخيرات ^(٥) .

وقد بين الحافظ ابن القيم كيف يؤدى هذا السبب إلى مثل هذا التفريط فقال:

« ومنها - أى من آثار المعاصى - حرمان الطاعة ، فلو لم يكن للذنوب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة تكون بدله ، وتقطع طريق طاعة أخرى فينقطع عليه بالذنوب طريق ثالثة ثم رابعة وهلمّ جرّاً ، فينقطع عليه بالذنوب طاعات كثيرة كلّ واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها ، وهذا كرجل أكل أكلة أوجبت له مرضة طويلة منعه من عدّة أكالات أطيب منها ، والله المستعان » ^(٦) .

٢- التوسع فى المباحات :

وقد يكون التوسع فى المباحات من الطعام والشراب واللباس والمراكب ، ونحوها هو السبب فى التفريط فى عمل اليوم والليلة ، ذلك أن هذا التوسع يورث الركون والنوم . والراحة ، الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى مثل هذا التفريط ، وقد سبق أن بيّنا ذلك بالتفصيل عند الحديث عن آفة الإسراف ، وحسبنا هنا قول الغزالي :

(١- ٥) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٣٥٦ .

(٦) انظر: الداء والدواء أو الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى للحافظ ابن القيم ص ٧٤ .

« كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول : معاشر المريدين : لا تأكلوا كثيرا ، فتشربوا كثيرا ، فترقدوا كثيرا ، فتتحسروا عند الموت كثيرا » (١) .

٣- عدم إدراك قيمة النعم ، وسبيل الدوام :

وقد يكون عدم إدراك قيمة النعم وسبيل الدوام هو السبب في التفریط في عمل اليوم والليلة ، ذلك أن من لم يدرك أن نعم الله على العباد ، الظاهر منها والباطن ، والمعلوم منها وغير المعلوم ، شيء لا يعد ولا يحصى . ﴿ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم : ٣٤ ، والنحل : ١٨] . ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان : ٢٠] .

ومن غفل عن أن دوام هذه النعم إنما يكون بالشكر : ﴿ لَنْ شُكْرُكُمْ لِأُزِيدَنَّكُمْ ﴾

[إبراهيم : ٧]

ومن الشكر المواظبة على عمل اليوم والليلة من العبادات والطاعات ، من لم يدرك هذا كله ، وغفل عنه ، فإنه يقع منه لا محالة التفریط في عمل اليوم والليلة ، وصدق الله : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

قال الحسن البصري ، وأبو العالية ، والسدي والربيع بن أنس : « إن الله يذكر من ذكره ، ويزيد من شكره ، ويعذب من كفره » (٢) .

وقال الحسن البصري أيضا في قوله : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ قال : اذكروني فيما أوجبت لكم على نفسي (٣) .

قال سعيد بن جبیر : اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي . وفي رواية : برحمتي (٤) .

٤- الغفلة عن الحاجة إلى عمل اليوم والليلة :

وقد تكون الغفلة عن الحاجة إلى عمل اليوم والليلة ، هي السبب في التفریط في هذا العمل ، فإن من غفل عن أنه بحوله وقوته ضعيف ، وأنه بحول الله وقوته قوى ، وأنه لا بد له - كى ينجح في أداء دوره ، والقيام بواجبه في هذه الأرض - لا بد له من

(١) انظر : إحياء علوم الدين ١ / ٣٥٦ .

(٢) ، (٣) الأثر أورده الحافظ ابن كثير في : تفسير القرآن العظيم ١ / ١٩٦ بهذا اللفظ من غير أن يعزوه لأحد .

(٤) الأثر أورده الحافظ ابن كثير في : تفسير القرآن العظيم ١ / ١٩٦ بهذا اللفظ من غير أن يعزوه لأحد . وأورده السيوطي في : الدر المنثور ١ / ٤٨ قائلا : أخرجه عبد بن حميد ، وابن جرير عن سعيد بن جبیر . . . وذكره .

عون الله وتأيدته ونصره، وأن المواظبة على عمل اليوم والليلة هى التى تستجلب هذا العون، وذلك التأيد والنصر: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩) [العنكبوت]. ﴿وَتَرَوْدُوا فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]. ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ﴾ (١) ﴿قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧)﴾ [المزمل].

«... وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، وإن استعاذنى لأعيذته ...» (١).

بل إنها هى التى تكون سببا فى سكينه النفس ، وطمأنينه القلب : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (١٨) [الفتح]. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) [الرعد]. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

من غفل قلبه عن كل ما قدمنا، فإنه سيفرط لا محالة فى عمل اليوم والليلة .

٥- ضعف أو تلاشى التصور الصحيح لحقيقة أجر المواظبة على عمل اليوم والليلة:

وقد يكون ضعف أو تلاشى التصور الصحيح لحقيقة أجر المواظبة على عمل اليوم والليلة، هو السبب فى هذا التفريط ، فإن الاستمسك بالشئ ، والعض عليه بالتواجد مرتبط بالتصور الصحيح له ، وللمنافع أو الفوائد المرتبطة به .

وعليه، فمن لم يكتمل عنده التصور الصحيح لحقيقة الأجر المرتبط بعمل اليوم والليلة من أنه نجاة من أهوال وشدائد يوم القيامة: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٦) [الزمر]. ﴿وَأَنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا (٧٢)﴾ [مريم].

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الرقاق : باب التواضع ٨ / ١٣١ من حديث أبى هريرة مرفوعا به ، وأخرج أحمد فى : المسند ٦ / ٢٥٦ نحوه من حديث عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «قال الله - عز وجل : من أذل وليا فقد استحل محاربتى ، وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء الفرائض ، وما يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، وإن سألنى أعطيت ، وإن دعانى أجبت ، ما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن وفاته لأنه يكره الموت وأكره مساءته » .

بل من أنه - أى الأجر - جنات فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفوق هذا وذاك رؤية الله، والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [٧٢] ﴿ [التوبة] ﴾ . ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٢٦] ﴿ [يونس] ﴾ . ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ [٢٢] ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٢٢] ﴿ [القيامة] ﴾ . ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيَنَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٧٧] ﴿ [السجدة] ﴾ .

ومن لم يكتمل عنده التصور لحقيقة هذا الأجر، فإنه يستلذ النوم والراحة، ويضن بالتعب والمجاهدة فى سبيل الله، وبالتالي يُفِرط فى عمل اليوم والليلة.

وصدق العلامة ابن الجوزى حين قال : « من لح فجر الأجر هان عليه ظلام التكليف » ^(١).

٦- نسيان الموت وما بعده من أهوال وشدائد :

وقد يكون نسيان الموت وما بعده من أهوال وشدائد ، هو السبب فى التفريط فى عمل اليوم والليلة ، ذلك أن من نسى أنه ميت لا محالة وإن طال الأجل : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥ ، والأنبياء : ٣٥ ، والعنكبوت : ٥٧] . ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ [٣٤] ﴿ [الانبياء] ﴾ .

وأن هذا الموت أقرب إليه من شراك نعله : ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ [٤٩] ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٥٠] ﴿ [يس] ﴾ .

وأنه سيكون بعد هذا الموت شدائد وأهوال يشيب منها الولدان ، وتنخلع لها القلوب ، ولا نجاة منها إلا بالمواظبة على عمل اليوم والليلة : ﴿ فَكَيْفَ تَقُولُ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [١٧] ﴿ السَّمَاءُ مَنفُطَرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾ [١٨] ﴿ [المزمل] ﴾ . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [١] ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [٢] ﴿ [الحج] ﴾ . ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴾ [١٨] ﴿

[غافر]

من نسى ذلك كله ، كان منه هذا التفريط ولا شك .

^(١) انظر : الرقائق للأستاذ محمد أحمد الراشد ص ٦٢ نقلا عن ابن الجوزى .

وقد ألمح إلى ذلك النبى ﷺ إذ دخل مصلاه، فرأى ناسا كأنهم يكتشرون (١)، فقال : « أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلکم عما أرى: الموت، فأكثرُوا من ذكر هادم اللذات: الموت، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه، فيقول: أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود... » (٢).

٧- ظنّ بلوغ الكمال :

وقد يكون ظنّ بلوغ الكمال هو السبب فى التفريط فى عمل اليوم والليلة، ذلك أن الإنسان قد ينسى نفسه، وينسى أنه مهما عمل وأطاع بالليل والنهار، فلن يستطيع شكر أدنى نعمة من نعم الله - تعالى - عليه، ويحمله هذا النسيان مع عوامل أخرى على ظنّ بلوغ الكمال، وحينئذ يقع منه التفريط فى عمل اليوم والليلة.

ولعل هذا هو ما نفهمه من حديث النبى ﷺ إذ يقول : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » (٣).

ومما جاء عن عمر بن الخطاب ؓ إذ كان يقول : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وترتيبوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه فى الدنيا (٤).

ومن قول ميمون بن مهران : لا يكون العبد تقيا حتى يحاسب نفسه، كما يحاسب شريكه من أين مطعمه، وملبسه (٥).

(١) يكتشرون : أى تظهر أستانهم من الضحك، إذ الكشر : ظهور الأسنان للضحك، وكاشره إذا ضحك فى وجهه، وباسطه، انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢١/٤.

(٢) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب الزهد: باب ما جاء فى ذكر الموت ٤٧٩/٤ رقم (٢٣٠٧) من حديث أبى هريرة مرفوعا بلفظ : « أكثرُوا ذكر هادم اللذات » يعنى الموت، وكتاب صفة القيامة : باب منه ٥٥١/٤ رقم (٢٤٦٠) من حديث أبى سعيد مرفوعا به، والنسائى فى: السنن : كتاب الجنائز: باب كثرة ذكر الموت ٤/٤ رقم (١٨٢٤) من حديث أبى هريرة، وابن ماجه فى: السنن : كتاب الزهد : باب ذكر الموت والاستعداد له ١٤٢٢/٢ رقم (٤٢٥٨) من حديث أبى هريرة، وأحمد فى : المسند ٢٩٢/٢، ٢٩٣ من حديث أبى هريرة، وقال الترمذى عقب رواية أبى هريرة : « هذا حديث حسن غريب »، وعقب رواية أبى سعيد : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ».

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب الزهد: باب منه ٥٥٠/٤ رقم (٢٤٥٩) وعقب عليه بقوله: « هذا حديث حسن »، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الزهد: باب ذكر الموت والاستعداد له ١٤٢٣/٢ رقم (٤٢٦٠)، وأحمد فى: المسند ١٢٤/٤ كلهم من حديث أبى يعلى شذاذ بن أوس ؓ مرفوعا به.

(٤) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب الزهد: باب منه ٥٥٠/٤ تحت رقم (٢٤٥٩) موقوفا على عمر بن الخطاب، وأورده الطنطاويان فى أخبار عمر ص ٢٩٠ وعزواه إلى ابن الأثير فى أسد الغابة.

(٥) الأثر أورده الترمذى فى: السنن: كتاب الزهد: باب منه ٥٥٠/٤ تحت رقم (٢٤٥٩) من كلام ميمون بن مهران به.

٨ - كثرة الأعباء والواجبات :

وقد تؤدي كثرة الأعباء والواجبات إلى التفريط في عمل اليوم واللييلة ، ذلك أن الإنسان في زحمة العمل ، وفي إلحاح الأعباء والواجبات ، قد يهمل في عمل اليوم واللييلة بحجة ضيق الوقت ، وضرورة الفراغ من هذه الأعباء وتلك الواجبات ، ناسيا أو متناسيا أن زاده على الطريق للخروج من كل ما هو مطلوب منه إنما يكمن في المواظبة على عمل اليوم واللييلة ، إذ الوقت والطاقات والإمكانات كلها ملك لله ، ويده سبحانه ، وحين يرى من العبد إقبالا عليه ، وتلذذاً بطاعته وذكره يمتنُّ ويتفضل عليه بالبركة في الوقت ، والقوة في الإرادة ، والمضاء في العزيمة ، والسداد في الرأي :

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ﴾ [محمد]. ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝﴾ [الطلاق] .

٩ - التسويف :

وقد يكون التسويف هو السبب في التفريط في عمل اليوم واللييلة ، ذلك أن من تعود التسويف أو التأجيل تتراكم عليه الواجبات أو الأعباء ، وحين يريد الخلاص أو الخروج منها ، تصبح ثقيلة أو شاقة عليه ، وحينئذ لا يكون منه إلا التفريط أو التضييع .

ولعل هذا هو المفهوم من قوله ﷺ : « بادروا بالأعمال الصالحة سبعا ، هل تنتظرون إلا فقرا منسيا ، أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسدا ، أو هرما مفندا ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » ^(١) .

وقد وعى ذلك سلف الأمة - رضوان الله عليهم - فحرصوا على اقتناص الفرص واغتنام العمر قبل أن يضيع ، وحسبنا هنا مقالة عمر رضي الله عنه : القوة في ألا تؤخر عمل اليوم لغد ^(٢) .

(١) الحديث أخرجه الترمذى في: السنن: كتاب الزهد: باب ما جاء في المبادرة بالعمل ٤/٤٧٨ رقم (٢٣٠٦) من حديث أبي هريرة مرفوعا به ، وأورده الإمام الغزالي في: إحياء علوم الدين : كتاب ذكر الموت وما بعده : باب بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير ٤/٥٩٩ . وخرجه الحافظ العراقي في: المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار ٤/٥٩٩ بهامش الإحياء قائلا : « أخرجه الترمذى من حديث أبي هريرة بلفظ : ينتظرون إلا غناء ... » الحديث وقال : « حسن ، ورواه ابن المبارك في: الزهد ، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في : قصر الأمل بلفظ المصنف ، وفيه من لم يسم » .

(٢) الأثر أورده الطنطاويان في: أخبار عمر ص ٢٨١ ، وعزواه إلى الطبري في تاريخه .

ومن وعظه عليه السلام لرجل بقوله: « اغتتم خمسا قبل خمس ، شباك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » (١) .

١٠- مشاهدة بعض ذوى الأسوة على حال من التفريط :

وأخيرا، قد تكون مشاهدة بعض ذوى الأسوة والقُدوة ، على حال من التفريط ، هى السبب فى عدم المواظبة على عمل اليوم والليلة، ذلك أن المسلم أحيانا ينظر إلى ذوى الأسوة والقُدوة على أنهم نمط فريد من الناس، لا يمكن أن يقع منهم تفريط أو تقصير ، وحين يطلع منهم أو من بعضهم على شىء من التفريط، فإن هذه النظرة قد تحمله على محاكاتهم ، ناسيا أنه لا طاعة ولا محاكاة فى المعصية ، وإنما فى المعروف فقط .

ولعل هذا السبب هو المفهوم من تشديد الإسلام على عدم المجاهرة بالإنثم ، إذ يقول عليه السلام : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول : يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه » (٢) .

ثالثا : آثار التفريط فى عمل اليوم والليلة :

وللتفريط فى عمل اليوم والليلة ، آثار ضارة ، وعواقب مهلكة ، سواء على العاملين ، أو على العمل الإسلامى، ودونك بعض هذه الآثار :

أ- آثار التفريط فى عمل اليوم والليلة على العاملين :

فمن آثار التفريط فى عمل اليوم والليلة على العاملين :

(١) الحديث أورده ابن أبى شيبة فى : المصنّف : كتاب الزهد: باب ما ذكر عن نبيّنا عليه السلام فى الزهد ٢٢٣/١٣ من حديث عمرو بن ميمون رضي الله عنه مرسلا ، وأورده الغزالي فى : إحياء علوم الدين : كتاب ذكر الموت وما بعده : باب بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير ٤ / ٤٥٩ ، وخرجه الحافظ العراقى فى : المعنى عن حمل الأسفار فى الأسفار ٤ / ٤٥٩ بهامش الإحياء قائلا : « حديث ابن عباس : « اغتتم خمسا قبل خمس ، شباك قبل هرمك ... » الحديث : أخرجه ابن أبى الدنيا فيه بإسناد حسن ، ورواه ابن المبارك فى : الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأزدي مرسلا » .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأدب: باب ستر المؤمن على نفسه ٨ / ٢٤ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق: باب النهى عن هتك الإنسان ستر نفسه ٤ / ٢٢٩١ رقم (٢٩٩٠) ، كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ للبخارى .

١- الاضطراب والقلق النفسى :

ذلك أن غذاء القلب ، وراحة النفس ، وسمو الروح ، إنما يكون فى المواظبة على عمل اليوم واللييلة ، وعليه فإن من فرط فى عمل اليوم واللييلة ، فقد قطع عن القلب غذاءه ودواءه ، ومصدر سعادته وطمأنينته ، وتكون النتيجة : القلق والاضطراب النفسى ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه : ١٢٤] . ﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن] .

٢- القعود عن أداء الواجب أو على الأقل الفتور :

وذلك أن زاد المسلم على الطريق إنما هو فى المواظبة على عمل اليوم واللييلة ، وعليه فمن فرط فى عمل اليوم واللييلة ، فقد بقى بغير زاد ، ومثل هذا تنتهى به الحال إلى القعود عن أداء الواجب ، أو على الأقل الفتور ، وذلك فيه من الخطورة والضرر ما فيه .

وصدق الرسول ﷺ إذ قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا نام ثلاث عقد : يضرب كل عقدة ، عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، وإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » (١) .

٣- الجراءة على المعصية :

ذلك أن الطاعة الحقّة بمثابة حاجز يحول بين الإنسان ، وبين المعصية : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن فلانا يصلى بالليل ، فإذا أصبح سرق ، فقال : « إنّه سينهاه ما تقول » (٢) .

وعليه فإذا فرط فيها وضيعها ، أو أداها بشكلها لا بجوهرها وحقيقتها ، فقد هدم هذا الحاجز ، وصارت الطريق مفتوحة أمامه للوقوع فى المعاصى والسيئات بصورة فيها جراءة أو لا مبالاة .

(١) الحديث تقدم تخريجه فى الجزء الأول آفة « الفتور » .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٢ / ٤٤٧ من حديث أبى هريرة مرفوعا به ، وأورده ابن كثير فى : تفسير القرآن العظيم ٣ / ٤١٥ وعزاه إلى أحمد عن أبى هريرة .

ولعل هذا هو ما يشير إليه قول ابن عباس: من لم تأمره صلاته بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، لم يزد بصلاته من الله إلا بعدا (١).

٤- الضعف أو الانهيار البدني :

وذلك أن المواظبة على عمل اليوم والليلة، تكسب الجسم مناعة، وقدرة على التحمل، كما قال - سبحانه - على لسان هود عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

كما أوصى به النبي ﷺ عليا وفاطمة - عليهما السلام - إذ قال علي: إِنَّ فَاطِمَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدَيْهَا مِنَ الرَّحَى، وَبَلَّغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ رَفِيقٌ، فَلَمْ تَصَادِفْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ، قَالَ: فَجَاءَنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مُضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا»، فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، حَتَّى وَجَدَتْ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ: «أَلَا أَدْلِكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا، إِذَا أَخَذْتُمَا مُضَاجِعَكُمَا، أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا، فَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ» (٢).

وعليه فمن فرط في عمل اليوم والليلة فسيستاد الاسترخاء والنوم، وذلك لا يعود على الجسد إلا بما فيه ضعفه وانهياره.

٥- الحرمان من العون والتوفيق الإلهي :

وذلك أن عون الله وتوفيقه، لا يظفر بهما العبد إلا إذا كان على صلة طيبة بربه، تتجلى في المواظبة على اليوم والليلة: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وإذا حدث وفرط المسلم في هذا العمل، فقد قطع نفسه عن ربه، وحيث يحرّم العون والتوفيق.

(١) الحديث أورده ابن جرير في: جامع البيان في تفسير القرآن ٩٩/٢٠ من حديث ابن عباس موقوفا عليه، وعنه نقل ابن كثير في: تفسير القرآن العظيم ٤١٤/٣.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب فرض الخمس: باب الدليل على أن الخمس لنوابي رسول الله ﷺ والمساكين ١٠٢/٤، وكتاب فضائل الصحابة: باب مناقب علي ابن أبي طالب عليه السلام ٢٤/٥، وكتاب النفقات: باب عمل المرأة في بيت زوجها، وباب خدام المرأة ٨٤/٧، وكتاب الدعوات: باب التكبير والتسبيح عند المنام ٨٧/٨، وأبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في التسبيح عند النوم ٣١٦، ٣١٥/٤، رقم (٥٠٦٢ - ٥٠٦٤)، وأحمد في: المسند ١/١٣٦، ١٥٣، كلهم من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام واللفظ للبخاري.

ولعل ذلك هو ما نفهمه من قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٣٧) ﴿ [الزخرف] .

٦- فقد الهيبة أو التأثير في الناس :

وذلك أن من فرط في عمل اليوم والليلة ، فقد ضيع أعظم سلاح يؤثر به في الناس وسبى قلوبهم ، وهذا بدهي ؛ لأنه بهذا التفريط ضيع منزلته عند ربه ، ومن ضاعت منزلته عند ربه ، فقد ضاعت منزلته عند الناس .

وقد أشار إلى ذلك النبي ﷺ إذ يقول : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، وليتزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن » فقال قائل : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » (١) .

ب- آثار التفريط في عمل اليوم والليلة على العمل الإسلامى :

ومن آثاره على العمل الإسلامى :

١- طول الطريق مع كثرة التكاليف :

ذلك أن عملاً يضيق المتسبون إليه حق الله - تبارك وتعالى - عليهم ، ستطول به الطريق ، وتتضاعف عليه التكاليف ، وتحيط به المحن والشدائد من كل ناحية ، لاسيما وأعداء الله ماضون في تنفيذ أساليبهم ومخططاتهم ، ولا يتوانون عن ذلك لحظة ، من ليل أو نهار ، وصدق الحق - سبحانه - حين قال على لسان نبي الله صالح عليه السلام : ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾ [هود : ٦٣] .

٢- عدم الثبات في ساعات المحن والشدائد :

وذلك أن المحن بطبيعتها قاسية وشديدة ، لا يطيقها البشر بحوله وقوته وإنما لابد له من العون والتأييد الإلهي ، وأتى لمن فرطوا في جنب الله أن يرزقهم الله تحملاً أو ثباتاً ؟

(١) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الملاحم : باب في تداعى الأمم على الإسلام ١١١/٤ رقم (٢٩٧) ، وأحمد في : المسند ٣٥٩/٢ ، ٢٧٨/٥ كلاهما من حديث ثوبان رضي الله عنه واللفظ لأبي داود .

ولعل هذا هو المفهوم من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١٦) [الاحقاف] . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتُورُوا اللَّهَ يَتُورْكُمْ وَيُبَيِّتْ أَعْدَاءَكُمْ ﴾ (٧) [محمد] .

ومن قوله ﷺ لابن عباس : « يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » (١) .

رابعاً: علاج التفريط فى عمل اليوم والليلة :

وبعد هذا نستطيع علاج التفريط فى عمل اليوم والليلة ، باتباع ما يلي :

١- معايشة الكتاب والسنة ، ففيهما صورة صادقة لثواب الطائعين ، وعقاب العاصين ، وماهية هذا الثواب ، وذلك العقاب ، بل فيهما تحريض على ملازمة الطاعة ، وترك المعصية ، من خلال التذكير باطلاع الله - سبحانه - وإحاطة علمه بكل شيء ، والرجوع إليه ، والمساءلة بين يديه ، والجزاء ، وحسب المسلم أن يقرأ هذه الآيات :

﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾ (٥٤) وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَرَّتْنِي عَلَىٰ مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ ﴾ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٥٩) [الزمر] .

٢- التحرر من المعاصي والسيئات لاسيما الصغائر ، فإنها سم قاتل ، ونار محرقة وصدق الرسول ﷺ إذ يقول : « إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » ، وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً « كمثله قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صنيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجىء بالعود ، حتى جمعوا سواداً فأجبحوا ناراً وأنضجوا ما قذفوا فيها » (٢) .

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع : باب منه ٥٧٥/٤ ، ٥٧٦ رقم (٢٥١٦) ، وأحمد فى: المسند ٢٩٣/١ ، ٣٠٣ ، كلاهما من حديث عبد الله بن عباس مرفوعاً .

(٢) الحديث أخرجه أحمد فى: المسند ٤٠٢/١ ، ٤٠٣ من حديث ابن مسعود رضيه الله عنه وأورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد : كتاب التوبة : باب فيما يحتقر من الذنوب ١٩٢/١٠ وقال عقبه : « رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير عمران بن دارد القطان وقد وثق » .

٣- التوسّط فى تعاطى المباحات لاسيما المطاعم والمشارب، فإنها أساس كل بلية وصدق الرسول ﷺ : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلاث لطعامه ، وثلاث لشرايه ، وثلاث لنفسه » (١) .

٤- إدراك دور المواظبة على عمل اليوم والليلة فى النجاح والقدرة على القيام بالأعباء والواجبات ، فإن ذلك يحرر النفس من التفریط ، ويحملها على المواظبة والملازمة .

٥- تقدير النعمة ، وأنها لن تدوم إلا بالطاعات ، فإن ذلك يحرك النفوس المستقيمة للمواظبة على عمل اليوم والليلة ، وفاء بحق الله ، وطمعا فى الاستمرار والزيادة .

٦- محاولة التوفيق بين المواظبة على عمل اليوم والليلة ، والقيام بالواجبات الأخرى : « إن لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط لكل ذى حق حقه » (٢) .

٧- مجاهدة النفس ، وأخذها بالحزم والشدة ، مع اتهامها بالتقصير ، ومع ترك التسويف ، ومع تمنيتها بأنها إن تعبت اليوم ، ستمتع غدا بالنعيم المقيم ، وتتلذذ بالنظر إلى وجه الله الكريم .

٨ - تقدير العواقب والآثار المترتبة على التفریط فى عمل اليوم والليلة ، فلعل ذلك يحرك القلوب ، وتنعكس هذه الحركة على الجوارح ، فتكون المواظبة على عمل اليوم والليلة .

(١) الحديث تقدم تخريجه فى الجزء الاول ، آفة « الإسراف » .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الصوم : باب من أقسم على أخيه ليفطر فى التطوع . . . ٤٩/٣ ، ٥٠ ، وكتاب الأدب : باب صنع الطعام ، والتكلف للضيف ٤٠/٨ ، والترمذى فى : السنن : كتاب الزهد : باب منه ٥٢٦/٤ رقم (٢٤١٣) ، وأبو يعلى الموصلى فى : المسند ٢ / ١٩٣ ، ١٩٤ ، كلهم من حديث أبى جحيفة ، ولفظه عند البخارى : أخى رسول الله ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء ، فزار سلمان أبى الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا ، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما ، فقال له : كل ، قال : فإنى صائم ، قال : ما أنا بأكل حتى تأكل ، قال : فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، قال : نم ، فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال : نم ، فلما كان من آخر الليل قال سلمان : قم الآن فصليا ، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقا . . . وذكر الحديث ، وفى آخره قال له النبى ﷺ : « صدق سلمان » .

٩- ملازمة الجماعة ، والعيش فى وسط صالح مستقيم ، فإن ذلك يذكر بالله ، ويشحذ الهمم والعزائم وصدق رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بخياركم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله - عز وجل » (١) .

١٠- الاستعانة التامة بالله - عز وجل - فإنه - سبحانه - يعين من استعان به ، ولجأ إلى حماه ، ولاذ بجناحه ، لا سيما فى ساعات الاضطراب والشدة : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] . ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل] .

١١- إدراك أن الدنيا دار عمل وغرس وزراعة ، وغدا سيكون الحصاد ، ومعرفة النتائج ، ولئن ضاعت الدنيا بغير طاعة ، كانت الخسارة التى لا خسارة بعدها : ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الزمر] . ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الشورى] .

١٢- مواظبة ذوى الأسوة والقُدوة على عمل اليوم والليلة ، حتى لا يكونوا سببا فى فتنه وضياغ غيرهم من الناس ، فيحتملون إثم أنفسهم ، وإثم اقتداء غيرهم بهم : « . . . ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » (٢) .

١٣- معايشة النبى ﷺ فى سيرته ، وكيف كان يصوم النهار ، حتى يقال : إنه لا يفطر ، ويقوم الليل حتى يقال : إنه لا ينام ، ومثل ذلك كان يصنع فى باقى الطاعات ،

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب من لا يؤبه له ١٣٧٩/٢ رقم (٤١١٩) ، وأورده البوصيرى فى : مصباح الزجاجه ٢١٥/٤ ، ٢١٦ ، وعقب عليه قائلا : « هذا إسناد حسن ، شهر وسويد مختلف فيهما ، وباقي رجال الإسناد ثقات . . . » ، وأبو بكر ابن أبى شيبة فى : المصنف : كتاب الزهد : باب كلام سلمان ٣٣٥/١٣ ، ٣٣٦ من طريق شهر بن حوشب بنحوه .

(٢) الحديث أخرجه البخارى مختصرا فى : الصحيح (الترجمة) : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة ١٢٧/٩ ومسلم فى : الصحيح : كتاب العلم : باب من سن سنة سيئة أو حسنة ، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٢٠٦٠/٤ رقم (٢٦٧٤) ، وأبو داود فى : السنن : كتاب السنة : باب لزوم السنة ٢٠١/٤ رقم (٤٦٠٩) ، والترمذى فى : السنن : كتاب العلم : فى من دعا إلى هدى ٤٢/٥ رقم (٢٦٧٤) وابن ماجه فى : السنن : المقدمة : باب من سن سنة حسنة أو سيئة ٧٥/١ ، رقم (٢٠٦) ، وأحمد فى : المسند ٣٩٧/٢ ، ٥٠٥ ، كلهم من حديث أبى هريرة مرفوعا به وبنحوه ، واللفظ لمسلم .

مع من أن الله قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ، إذ هذه المعاشية تحمل كل مفرط في عمل اليوم والليلة على المواظبة ، من منطلق أن النبي ﷺ كان يصنع ذلك ، وقد وعده الله المقام المحمود ، فكيف بمن لا يعرف عاقبته ، وهل سيكون في الجنة أو مع أهل النار ؟

١٤- دوام النظر في سيرة وأخبار السلف ، فإنها مليئة بصور حية مشرقة في المواظبة على عمل اليوم والليلة ، تحمل كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد على الاقتداء والتأسي ، أو على الأقل المحاكاة والتشبه .

١٥- تذكر الذنوب والآثام الماضية ، فإن ذلك يحمل على المواظبة في عمل اليوم والليلة تداركا لما فات ، وطمعا في تكفير هذه الذنوب ، وتلك الآثام ، وخير ما يصدق ذلك موقف السحرة من تهديد فرعون حين خالطت حلاوة الإيمان بشاشة قلوبهم وردّهم عليه : ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (٧٣) [طه] .

١٦- تذكر أن الموت يأتي بغتة ، وإذا لم يأت بغتة فسيسبقه المرض ثم يكون الموت ويكون الندم ، ولكنه بعد فوات الأوان ، وضياح الفرصة .